

دراسة في تاريخ مملكة ماري في سوريا

إلى زمري-ليم ابلغك هذا: هكذا يقول أخاك حامورابي
ملك اوغاريت كتب لي كالتالي: (اود أن أرى قصر
زمري-ليم! أتمنى رؤيته)، ومع نفس هذا الساعي أنا ارسلت مبعوث اوغاريت (1)

بقلم
الأستاذ الدكتور
صلاح رشيد الصالحي
تخصص: تاريخ قديم
بغداد 2020

في عام 1933 وعلى الجهة الشرقية لسوريا بالقرب من الحدود العراقية-السورية كان رجال قبيلة بدوية تحفر قبراً على مرتفع صخري لدفن جثمان أحد افراد القبيلة، وخلال الحفر صادفوا ان عثروا على تمثال بلا رأس، هذا الحدث وصل إلى سلطة الاحتلال الفرنسي التي كانت تحكم سوريا آنذاك، فأجري الكشف الري على الموقع من قبل علماء الآثار من متحف اللوفر أعقبها اكتشافات سريعة أظهرت إلى النور معبد عشتار، وقد صنفت ماري (تل الحريري حالياً قرب البوكمال السورية) بأنها نقطة أمامية غربية للثقافة السومرية، ومع بداية التنقيبات عثر على أكثر من (25,000) لوح طيني باللغة الأكديّة وبالخط المسماري، تشكل أرشيفات ماري أعطت معلومات حول المملكة، والعادات، وأسماء الناس الذين عاشوا خلال تلك الفترة، وأكثر من (8000) رساله تتضمن نصوص قضائية وإدارية، كما ذكرت (500) اسم لأماكن جديدة يمكن ان تساعد في رسم أو تصحيح خريطة العالم القديم، وكل اللوحات تقريباً أرخت إلى السنوات الـ50 الأخيرة من استقلال ماري (1800-1750) ق.م. واغلب تلك اللوحات قد نشرت، ولغة النصوص هي الأكديّة ومع هذا ذكرت أسماء الاعلام وبعض الفقرات التي يمكن تمييزها بنحوها بان اللغة المشتركة لسكان ماري كانت سامية غربية، وهناك أرشيفات معاصرة وجدت في تل ليلان (Tell Leilan) في منطقة أعالي الخابور، ومنطقة شمشارة (Shemshara) (في محافظة السليمانية حالياً بدأ التنقيب فيها عام 1957-1959) والموقع استوطن منذ دور حسونة في الألف السادس ق.م. (9) في جبال زاكروس. إضافة إلى الآثار الكثيرة التي تزين الآن المتحف الوطني في حلب، ومتحف دمشق، ومتحف دير الزور، إضافة إلى متحف اللوفر في باريس (2).

في القرن الثامن عشر ق.م، حاكم مدينة أوغاريت على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، تقريباً 600 كيلومتر شمال غرب ماري سمع عن قصر في عاصمة الفرات الأوسط وأبدى رغبته لرؤيته، ومثل هذا الطلب في بداية الألفية الثانية ق.م، مدى انتشار سمعة قصر زمري-ليم فالمسافة بين المدينتين — تستغرق حوالي مسيرة عشرون يوماً — قطعها مراراً التجار والجنود الذين عبروا كل الشرق الأدنى، وامتداد العالم المعروف على الأقل كان من حوض البحر المتوسط وإلى وادي الهندوس وجبال الهملايا، ربما ملك أوغاريت كان يرغب بترتيب قوة زمري-ليم ملك ماري ومحتمل تشكيل تحالف معه في المستقبل، أو محاولة تجسس في عقله، أو فضول لا أكثر ولا أقل، أو من الممكن لديه رغبة في احترام الاعمال العظيمة خاصة تلك التي ذاع صيتها كقصر ماري الفخم بغرفة وقاعاته (3).

(1) Georges Dossin: (1984). p.70

(2) Charles Gates: (2011). p. 62

(3) Jean-Claude Margueron: (1995). p.885

لذلك ملك أو غاريت وابنه من المحتمل أرسل سوية مع الساعي حامل الرسالة إلى حمورابي (انظر النص أعلاه) الذي تربطه علاقة جيدة مع ملك مملكة ماري، وقد اعتبر قصر ماري هو الأفضل والاغنى لكل قصور السلالات الامورية والتي لدينا منها امثلة عدة اكتشفت لحد الآن وخلال كل عصر البرونز بضمنها عشرون صرحا تعود الى الالف الثالثة والثانية ق.م، وبعض القصور الملكية للعصر الاشوري التي عانت من التدمير ونهاية مأساوية مع سقوط نينوى، يمكن لهذه القصور ان تنافس قصر زمري-ليم وعالمه والحياة فيه والفضاءات الشاسعة فيه وهي من عمارة عصر البرونز، ولا تخبرنا نصوص ماري حول زيارة ملك أو غاريت أو ابنه إلى ماري وحتى أننا لسنا متأكدين من حوث الزيارة نفسها، ومع هذا يمكن أن نقدم وصف تقريبي لوصول ابن الملك أو غاريت من مدينته على البحر المتوسط وإلى ماري على الفرات ومقابلته زمري-ليم وتعرفه على مرافق القصر خاصة وان الزائر ذو رتبة عالية ولا بد من توفير مستلزمات الراحة والاحترام (4)، ويعتقد الباحثون ان تشييد القصر بدأ منذ عصر سلالة اور الثالثة، وغطى القصر مساحة تقريبا (2.5) هكتار ويعود إلى القرن الثامن عشر ق.م، والبناء فيه اتقان وعمارة جيدة، فقد جمعت الغرف حول عدد من الفناءات، وفي بعض الأماكن تشير إلى وجود طابق ثاني، أما الحيطان سمكها (4) أمتار وبارتفاع (8) أمتار، ويضم (300) غرفة مع فناءات وممرات وتم التنقيب فيه لكن تخطيط القصر ما زال لم يوضح بدقة (5) (شكل 59).

قدم القصر والاعداد الكبيرة من الرقم الطينية والعمارة، والفن، كلها أعطت صورة عن حياة هذه المدينة، لان القصر بحد ذاته يشبه المدينة تماما، وقد بدأت فيها التنقيبات عام (1933) على يد الاثاري الفرنسي اندريه بارو (André Parrot)، وغطت الفترات من (1933-1939) و (1951-1975) ولغاية (1979)، وصدرت منذ (1982) مجلة تحمل اسم (MARI: Annales de Recherches Interdisciplinaires . Paris, 1982ff) (ماري: حوليات البحوث)، وترأس الاثاري اندريه بارو (21) موسم تنقيبات من (1933-1975) وعلق : (منذ بداية التنقيبات ونحن نمارس التنقيب العمودي، وكنت أحاول تتبع تاريخ الموقع وصولا إلى الأرض البكر، ودائما نتوصل إلى اكتشافات مهمه تجعلنا نفكر لزاما أن نستأنف بالحفر الافقي..) (6) ومن ثم يمكن أن نرسم صورة للوضع السياسي للمدينة:

أن تسمية ماري مشتقة من اسم (أتور-مير Itur-Mer) حيث ظهرت نصوص جديدة تحمل اسم الإله (أتور-مير) ومعنى الاسم هو (بوابة-ماري) وأنها اسم إله قديم يكتب بالصيغة التالية: (d) Itur-Mer)) وهو أصل اسم مدينة ماري كما يظهر اسم نهر الخابور في نصوص قديمة بابلية ومارية على النحو الآتي: hu-bu-(d) ur أي إله نهر الخابور (7)، لقد ازدهرت مدينة ماري في عصر فجر السلالات، وتعتبر من هذه الناحية من المواضيع الاثرية المهمة التي وجدت فيها الآثار المميزة لهذا العصر، ومن ابرز البقايا التي اظهرتها التنقيبات في ماري من عصر فجر السلالات الأدوار المعمارية التي سجلت للمعبد الذي شيد لعبادة الإلهة عشتار، فقد سجلت لهذا المعبد ستة أدوار بنائية قدرت لها مدة ستة قرون، وكان آخرها المعبد الذي يرقى في زمنه إلى الطور الأخير من عصر فجر السلالات الثالث، أي سلالة اور الأولى، وسلالة لكش بوجه التقريب، ووجد في المعبد من هذا الدور تمثال يعود إلى أحد ملوك ماري ورد اسمه منقوشا بهيئة (لمكي-ماري) (Lamgi-mari)، وقد لقب نفسه حاكم الإله انليل، كما وجد تمثال آخر لأحد كبار الموظفين أو الحكام اسمه (ابخ-إل (Ebihk-II)، والجدير بالملاحظة عن هذين الاسمين انهما اسمان ساميان مما يدل على أن منطقة ماري كانت منذ اقدم عصور التاريخ قد استوطنها الساميون الذين اقتبسوا الحضارة السومرية، كما عثر على مشهد من عدة افاريز، يمثل أحد ملوك ماري وجيشه وعرباته واسرى الحرب ووليمة الاحتفال بالنصر، وانتهى المعبد من جراء ما أصابه من التدمير والحريق ويعتقد الاثاري اندريه بارو أن التدمير سببه غزو (ايناتام) ملك لكش أو

(4) Ibid : p. 886

(5) Amélie Kuhrt: (1997). p.102

(6) André Parrot; (1974). Pp.142-143

(7) عبد الحكيم الذنون : (1999)، ص 158

ربما سرجون الاكدي فكلا الملكين غزا المناطق العليا من الفرات (8)، وكشف أيضا على معبدتين في المدينة أحدهما لعبادة الإلهة (نن-خرساگ) والثاني لعبادة إلهة ورد اسمها بهيئة (نني-زازا) (Ninni-zaza) (9)، كما عثر على معبد خصص لعبادة إله شمش (10).

على أية حال نمت المدينة من قرية صغيرة إلى مركز تجاري مهم بسبب اقتصادها المتنوع في العالم القديم، فقد فرضت ماري سيطرتها على الطرق التجارية بين المناطق المختلفة مثل غرب إيران وبلاد الرافدين من جهة وكركميش وأجزاء من الاناضول من جهة أخرى، ومن المدن التي تاجرة معها أور، وحلب، وهناك خط رابط بين ماري واكلاطوم (على ضفة دجلة اليسرى جنوب آشور) (11)، وفي فترة حكم زمري-ليم اعتمدت ماري على النحاس المستورد من قبرص، وذلك لوجود صلات قوية مع موانئ البحر المتوسط، أمثال أوغاريت وجبيل ومرافئ فلسطين، ونعرف عن مرور رسل بابليين بمدينة ماري في طريقهم للبقاء في خاضور في منطقة الجليل بفلسطين (12)، ونعرف أيضا عن مرور وفد من دلمون إلى شوبات انليل بماري عند رجوعهم إلى بلادهم أيام شمشي-أدد الأول (13)، وكانت بابل تصدر القصدير الذي يستخلصونه من سوسة (عاصمة عيلام) ويصدر إلى حلب وقطنة وكركميش وخاضور عن طريق ماري (14)، وقد اشارت نصوص ماري أسماء المواد التي تجد لها سوقا رائجة في بلاد الرافدين مثل الزيت والنبذ والزيتون، والفخاريات، والحبوب، والخشب، والمواد الصمغية، والصخور، أما نقل البضاعة من داخل بلاد بابل وإلى ماري فقد كان يتم غالبا بواسطة السفن، ولا بد وان نهر الفرات كان له الدور الرئيسي في تنشيط التجارة الداخلية، ولا سيما بين المدن الكبيرة في السهل الرسوبي جنوب العراق القديم والى ماري، كما وكان لماري تعامل تجاري مع تاركا (Terqa) (موقع تل اشاره Ashara على ضفة الفرات في محافظة دير الزور في سوريا) ومملكة إيبلا.

لقد سجلت قائمة ملوك السومرية عن سلالة من ستة ملوك حكموا ماري وكانوا يتمتعون بسيطرة بين مدينة ادابا (Adab) وكيش (Kish) في القرن الـ (25) ق.م، وعرفنا بضعة أسماء أخرى لملوك من هذه الفترة مع ما ورد من الأسماء في قائمة ملوك السومريين، كذلك عرفنا بضعة أسماء لملوك من خلال المراسلات التي وجدت في مكان آخر بضمنها مملكة إيبلا. (15).

(8) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات... (1973)، ص 283-284

(9) شيدت المعابد في ماري ومنها معبد عشتار و(نني-زازا) قريبة من بعضها ولكن ليس هناك اتصال بينهما، وبنيت المعابد على شكل قوس تأخذ طراز البيوت، وشيدت من الطابوق المجفف بالشمس وأحيانا الطابوق المفخور أو الصخور الذي يخصص إلى أماكن إقامة الطقوس، تاريخ كلا المعبدتين يعودان إلى فجر السلالات الأولى وهذا الأمر لا جدال فيه، أما الطابوق الأرضي الذي عثر فيه على التماثيل المكسورة فهو يقع على عمق مترين تحت سطح الأرض، ويعتقد ان التدمير حصل ما قبل العصر السرجوني، وفوق الطبقة المدمرة بقايا وحدات سكنية محلية عثر فيها: جرة دفن تعود إلى العهد البابلي القديم، وأجزاء تمثال، وجزء من ختم اسطواني، وهذه المساكن ترجع إلى (فترة قصر)، ولوحظ تطور في بناء معبد نني- زازا باستخدام القير في أعمدة الفناء ويكون ذو فعالية في الضوء والظل، ولاحظ المنقبين بانها المرة الأولى هذا الشكل من الحجارة المقدسة، لها ما يشابهها عند الفينيقيين على الساحل المتوسطي والكنعانيين في فلسطين وفي ماري في الشرق عند نهر الفرات، ومن مميزات المذبح استخدام الجص، واحواض للطقوس اطلق عليها (القوارب الصغيرة)، ومن المفروض مجموعة الغرف التي أضيفت إلى الحائط الجنوبي لمعبد عشتار ربما كانت مساكن الكهنة، وغرفة المذبح للإله عشتار ذكرت في نقش على كتف أحد التماثيل، وإن المرفق في معبد نني-زازا أكبر بكثير، وغني بالتماثيل التي تحمل نقوش المسؤولين المحليين، ويشير اندرية بارو إلى وجود احتفالات ومراسيم قديمة ومنها الموسيقيين حيث عثر على قطع من بعض الآلات الموسيقية.

André Parrot: (1969). Pp. 471-473

(10) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات... (1973)، ص 284

(11) Albrecht Goetze: (1953). Pp. 54-73

(12) سامي سعيد الأحمد و(آخرون): الصراع خلال الالف الأول قبل الميلاد... (1983)، الجزء الثاني، ص 340

(13) صلاح رشيد الصالحي: نشوء الدويلات الإقليمية... (2010)، ص 258 وما بعدها

(14) سامي سعيد الأحمد و(آخرون): (1983)، الجزء 2، ص 340 // صلاح رشيد الصالحي: مدن محور الفرات... (2011)،

ص 15

(15) André Parrot: (1969). Pp. 471-473

بعد ازدهار المدينة عانت من التدمير في منتصف القرن الرابع والعشرين ق.م، وسبب هذا الدمار انخفاض نسبي في أهمية المنطقة تجارياً، وتحولت ماري إلى قرية صغيرة، ومن الصعب تحديد من هو المسؤول عن التدمير لكن على الأرجح سرجون الأكدي الذي صرح بأنه مر من خلال ماري وهو في طريق حملته نحو الغرب، ولكن بعض المؤرخين يعتقدون بأن الآبليين كانوا وراء التدمير فهم منافسو ماري في التجارة التقليدية مع بلاد الرافدين (16).

انتعشت المدينة ثانية بعد أن استوطنتها الآموريين على إثر هجرات القبائل الآمورية في نهاية الألف الثالثة ق.م، فقامت سلالة مستقلة في العهد البابلي القديم، وأخرى في آشور، وهكذا ازدهرت ماري تحت حكم سلالة أمورية عام (1900) ق.م وامتدت سلطانتها على طول الفرات والخابور، وشملت عان (خانة القديمة) في عهد ملكها (يكد-ليم) (Iaggit-Lim) أو (يكد-ليم) (Iagit-Lim) وأعقبه ابنه (يكد-ليم) الذي اغتالته حاشية البلاط، وصادف تعاضد الدولة الآشورية في عهد ملكها شمشي-أدد الأول، فعلى الرغم من جلوسه على عرش آشور إلا أنه بقي حاكماً لقوة بسيطة في المنطقة، لكن وكعادة ملوك بلاد الرافدين عبر تاريخهم الطويل يضعون في حساباتهم الاتجاه نحو الغرب وصولاً إلى حوض البحر المتوسط، لذا وسع تأثيره العسكري نحو شمال سوريا، فاشتبك مع يكدن-ليم (Yahdun-Lim) ملك ماري (17) صحيح أنه فشل في احتلال ماري إلا أنه استطاع فرض سيطرته على شمال وادي الخابور، وضم ممالك صغيرة مثل أبوم (Apum) وعاصمتها شيخنا (Shehna) وبذل اسمها إلى شوبات - أنليل (Shubat-Enlil) (يعتقد هي موقع شجر بازار حيث عثر على سجلات إدارية تعود إلى زمن حكمه) (18)، وقد أصبحت مقر إقامته فيما بعد ربما لقربها للمواقع التي يسعى لفرض سيطرته عليها أو ابتعاداً عن آشور التي ما زال حكمه جديداً عليها (19)، خاصة وأن هناك مراكز قوة أمورية أخرى في شمال سوريا غير موحدة ولا تخضع لسلطة مركزية وقد لخص الموقف في رسالة من هذه الحقبة تقول: (لا يوجد ملك هو الأقوى وحده، فهناك عشرة أو خمسة عشر ملكاً يتبعون حمورابي من بابل، ونفس العدد يتبعون ريم-سين من لارسا، ونفس العدد يتبع أبال-بيل ملك أشنونا والعدد نفسه يتبعون أموت-بي-أيل من قطنة (في سوريا) وعشرون ملكاً يتبعون ياريم-ليم من يمدخ (في شمال سوريا) (20).

وهكذا أصبحت مملكة ماري جنوب عاصمتها شوبات-أنليل فريسة سهلة، وقد أتاحت الفرصة له عندما حدثت ثورة في بلاط ماري أدت إلى مقتل يكدن-ليم ابن يكد-ليم (Yaggid-Lim) من قبل خدم قصره حوالي عام (1792) ق.م وليس هناك ما يدل على أن الثورة كانت من تخطيط شمشي-أدد غير أنه طالما المستفيد من ذلك في النهاية فإنه موضع شك قوي (21)، وأصبح من السهل احتلال ماري وضمها إلى مملكته التي أصبحت تمتد من آشور على نهر دجلة في الشرق إلى توتول (Tuttul) على نهر البليخ في الغرب (22) وبذلك دخلت ضمن مملكته بلاد تيركا (Terqa) شمال ماري، أما جنوباً فامتدت حدوده إلى شمال بابل (شمال بغداد الحديثة)، وبذلك يمكن أن نطلق عليها (مملكة شمال بلاد الرافدين).

هذه الأحداث وردت في رسالة على لسان رسول الإله أدد إله حلب الرئيسي معنونه إلى زمري - ليم (Zimri-Lim) ملك ماري جاء فيها: (أنا، أدد، منحت البلاد بكاملها إلى أبيك يكدن - ليم، لكنه تخلى عن عبادتي، ولهذا

(16) Lorenzo Viganò: (1994). Pp. 351-373.

(17) صلاح رشيد الصالحي: نشوء الدويلات الإقليمية... (2010)، ص 265-271

(18) يرى الباحث هورست كلنغل بأن شوبات-أنليل هي موقع (تل ليلان) في أعالي الرافدين وبذلك فرض سيطرته على كامل القسم الشمالي للهلال الخصيب: هورست كلنغل: (1987)، ص 37

Jorgen Laessoe: (1963). Pp. 44-53

(19) Marc Van De Mieroop: (2007) p.107

(20) هاري ساكز: الحياة اليومية... (2000)، ص 38 // هاري ساكز: (1979)، ص 84

(21) هاري ساكز: عظمة بابل... (1979)، ص 87

(22) موقع توتول غير متفق عليه من قبل الباحثين أحياناً يجعلونها بعيدة عن نهر الفرات وأقرب إلى مملكة ماري، والبعض الآخر يجعلها عند التقاء رافد البليخ بنهر الفرات.

اعطيت البلاد إلى شمشي – ادد ملك آشور ... (23) هذه الرسالة ذكرت في عدة مناسبات لغرض التذكير والعبرة، فبعد مقتل الملك يحدون – ليم هرب ولده زمري – ليم (24) إلى حلب كلاجئ في مملكة يمدد هربا من بطش شمشي-دد، ومن هناك بدأ يعمل لاستعادة عرش ابائه على مملكة ماري المغتصبة .

تلك الانتصارات حفزه شمشي-دد الأول التدخل في شؤون ممالك سوريا الداخلية، ففي نص له يشير إلى استلامه جزية من الغرب : (في ذلك الوقت، استلمت في عاصمتي آشور جزية ملوك توكريش (Tukrish) ، وملوك البلد الشمالي، ونصبت مسلة حجرية حفرت عليها اسمي العظيم، ووضعتها في بلاد لبنان (Lab'an la-ab-a-an^{KI}) على ساحل البحر العظيم(25)، ان تحديد موقع توكريش فيه تضارب بالأراء يعتقد انها قريبة من كركميش (جربلس الحالية)، ولكن ما نعرفه ان نصوصه لم تشر إلى حملات عسكرية آشورية توغلت في عمق الاراضي السورية، ولذا فهؤلاء الملوك اقرب إلى رؤساء العشائر والقبائل المنتشرين في المناطق المحصورة بين نهر الفرات (بوراتم Puratum) أو (بوراتو Puratu) وحتى كركميش وهي مناطق مرور السفن النهرية ومرور القوافل التجارية البرية . أما الجزية فهي وردت بالنص (biltu، mandattu، mihirtu) وهي اقرب إلى الهدية (الهدية بالأكدية سولمانو Sulmanu أو نمرتو (Nimirtu) (26) منها إلى الجزية، لان ملوك آشور اعتادوا إطلاق تسمية الجزية على الهدايا التي تصلهم من الملوك، كذلك ينطبق هذا على ملوك البلد الشمالي وهو مصطلح قد يعني حوض البليخ والخابور، أما ادعائه بنصب مسلة حجرية في لبنان التي تقع على البحر العظيم، (ويقصد بالبحر العظيم البحر المتوسط وله اسماء اخرى بحر امورو و بحر غروب الشمس والبحر العلوي) ففيه شك ولا يعني وصول قواته إلى البحر المتوسط (27)، واذا كان شمشي-دد يقود الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى على طول وادي الزابين (الزاب الاعلى بالأكدية زابو عيلو و الزاب الاسفل بصيغة زابو شبالو) (28) وحول ارباخا(كركوك) فان ولده الاكبر اشمي- داجان المتحمس كان يحارب قبيلة توروكو (Turukkû) والحكام الصغار في اقدام جبال زاكروس .

ومن اجل سلطة مركزية قوية وإدارة حازمة اتخذ شمشي-دد من مدينة شوبات-انليل مقرا لحكمه، وعين ضباط الجيش كحكام أنيطت بهم مسؤولية إدارة المناطق جنوب مقر إقامته، وفي نص له يقول : (وأني عينت حكامي في كل مكان)(29) كما وضع أبنائه في مواقع استراتيجية، فالابن الأكبر اشمي- داجان (Ishme-Dagan) الذي جبل كمقاتل مثل أبيه وكان على استعداد للنزول إلى سوح المعارك وبيعث لأخيه بأنباء انتصاراته بفخر كبير يقول في نص له: (حاربنا في (شوماخي) واستوليت على البلد بكاملة فقر عينا)(30)، وفي مناسبة أخرى ينتهز اشمي- داجان الفرصة لتباطيء أخيه فيكتب له : (لا تكتب إلى الملك (يقصد شمشي-دد) ، أن البلد الذي امكث فيه اقرب إلى المدينة – العاصمة ، والأمر التي تريد الكتابة عنها إلى الملك ابعث بها

(23) في النصوص القديمة تنسب الكوارث والماسي إلى غضب الآلهة وجود البشر وليس لأخطائهم الشخصية وبذلك اثبت الدين وجوده في كل الحوادث التاريخية القديمة:

Martha T. Roth: (1997). p.5

(24) لا يوجد اتفاق على سنوات حكم زمري- ليم ، ولكن الاقرب (1716- 1695 ق.م)، وكذلك هناك تضارب في شخصيته التي وصفت في احدى اللوح بعلاقته بالنساء في بلاطه الملكي: فون ، ف، فون، زودن: (2003) ، ص 61 // عامر سليمان و احمد مالك الفتیان: (1978)، ص 149

(25) James Pritchard: (1969). p. 274

(26) استخدمت كلمة الهدية (Sulmanu) في مراسلات تل العمارنة بين ملك آشور (اشور- اوبلط) وأختاتون فرعون مصر: صلاح رشيد الصالحي : الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة...، (2008) ، ص 381 // دياكونوف (أخرون): (1986)، ص 340

William Moran: (1992). (EA 15), (EA 16). Pp. 38-40

(27) جورج رو: (1984)، ص 258

(28) طه باقر: من تراثنا اللغوي... (1980)، ص 168

(29) هاري ساكز: عظمة آشور... (2003)، ص 51

(30) Archives royales de Mari, Vol. I, Paris. p. 124

إلي كي أقدم لك المشورة..⁽³¹⁾، على أية حال انيطت بأشمي- داجان إدارة مدينة ايكلاتوم المقر الاساسي للأسرة الحاكمة سابقا، وتمتد سلطته جنوبا إلى ارابخا (كركوك) وتكريت (تكريتا) (تك- ري- اي- تا) (قلعة برتو) وإلى جنوب سامراء (سموريم Summurim) أو (سرمتا Su-Ur-Ma-Ta) قريبا من شمال بابل بكلمة اخرى ما بين دجلة وجبال زاكروس، كما عين ولده الاصغر يسمح -أدد (Yasmah- Adad) وكان اميرا مطيعا رقيقا ولكنه كسول ومهمل وجبان ايضا، وقد نصب حاكما على ماري وإلى توتول وبذلك حكم مناطق تقع على نهر الفرات ورافدية البليخ (باليوخ أو بليخو) والخابور (خابوراس أو ابو راس)⁽³²⁾. على ما يبدو توجيهات الأب لا تنتهي وتتدخله في الشؤون المحلية وفرض الشخصية على أولاده مستمرة وهذه المرة رتب زواج ذو هدف سياسي عندما أصر على زواج ولده يسمح- أدد من بليتوم (Beltum) أميرة مملكة قطنة (Qatna) (وتعرف اليوم بتل مشرفه قرب حمص)⁽³³⁾، من اجل ضمان استمرار حلفه ضد يمد، وقد اراد ملك قطنة ان تحتل ابنته المنزلة الأولى في قصر ماري ربما كان هدف ملك قطنة ان يتولى في المستقبل حفيذة منصب ملك ماري وبذلك يضمها إلى مملكته، أو هكذا نعتقد ان يكون تفكيره⁽³⁴⁾، ولكن سبق ليسمح- أدد أن تزوج من ابنة يمدون-ليم التي تحتل منصب السيدة الأولى في قصرة ولها الكلمة العليا فهي ابنة مملكة ماري وابيها كان ملكا واخيها منفي إلى حلب ينتهز الفرصة للعودة إلى عرش أبائه⁽³⁵⁾، ولذلك فضل الابن بقاء الأميرة بليتوم في موقع ثانوي (كزوجة ثانية) بين مجموعة نساء القصر الاقل شانا، ولكن موقف شمسي - أدد كان واضحا فقد وبخ ولده وبشدة واجبره على ابقائها إلى جانبه في القصر كسيدة أولى⁽³⁶⁾، وهذا يدل على وجود علاقة وطيدة بين شمسي- أدد ومملكة قطنة وأيضا كركميش، ونتيجة للمصاهرة أرسل يسمح- أدد جيشا لمساعدة ملك قطنة ضد غريمه ملك حلب⁽³⁷⁾، وبالمقابل وضع حاكم قطنة مراعيه تحت تصرف رعاة يسمح- أدد واقترح عليه ان يأتي لزيارته. وعلى العكس كانت علاقته مع اشمي-داجان ليست على ما يرام فالصفقة التي عقدت بين الطرفين كانت مجحفة بحق ملك قطنة الذي عبر عن استيائه بقولة: (هذا الشيء لا يصح ذكره! ومع ذلك يجب ان اتكلم لكي اريح قلبي، اردت مني، حسب طلبك حصانين وارسلتهما اليك، وقد ارسلت لي 20 منا من الرصاص سعر الحصان لدينا ... (ست مائة) شيقل من الفضة، ولكنك ارسلت لي 20 منا من الرصاص ...) ⁽³⁸⁾، بما أن سعر الرصاص يعادل (1/14) من سعر الفضة فتمة أساس لشكوى ملك قطنة، وانه شعر بالغبن من قبل اشمي - داجان. وفي رسالة اخرى كتب يسمح - أدد إلى حمورابي ملك بابل عن معضلة حلت بإحدى قوافل التجارة من ماري، وهناك رسائل عديدة تدل على ان بلاط ملك ماري كان يضم موظفين ومستشارين مكلفين بأجراء مفاوضات عن امور عدة وينتقلون من بلاط إلى اخر يحملون صفة سفراء ومصادرنا الوحيدة هي الوثائق المكتوبة التي ينقلها المبعوثون.

اختفت الدولة التي أنشأها شمسي-أدد فجأة وتحت ظروف غير واضحة، فقد حكم فترة طويلة اتسمت بالأحداث الجسام، وفي اواخر أيامه هوجم بشكل سريع من قبل مملكتين شكلتا حلفا هما يمد واشنونا وهؤلاء

(31) Archives royales de Mari: Vol. IV , p. 70

(32) طه باقر : (1980) ، ص 162

(33) موقع مملكة قطنة قرب حمص في سوريا ،وحدودها ملاصقة لمملكة يمد وهي بذلك الحليف القوي للملك شمسي - أدد: هورست كلنغل : (1987) ، ص 37

(34) قد تكون شخصية يسمح- أدد ضعيفة أو لا تسير ضمن رغبات أبيه ومع ذلك كانت المراسلات بينه وبين ممالك شمال سوريا مستمرة وتخابط وده ربما لان قوته تستمد من سلطة أبيه شمسي-أدد فنحن نقرا في رسالة من ملك (ابلاخندا) (كرميش) (جرابلس الحالية) بان ملك ابلاخندا بعث خمرا ممتازا وأطعمة وحلي وملابس جميلة إلى يسمح-أدد، وأيضا منحه احتكار مناجم النحاس التابعة له ، وعرض عليه إعطاءه كل ما يرغب:

Archives royales de Mari. Vol. V. p.6

(35) عامر سليمان و احمد مالك الفتیان: محاضرات في التاريخ القديم ..، ص 149

(36) Marc Van De Mieroop: (2007). p.109

(37) Georges Dossin: (1939). Pp. 46-54

(38) هاري ساكر : (2000)، ص 68

جيرانه الأساسيون الذين كانوا ينتهزون الفرص لتقويض مملكته، ومن المحتمل قتل في المعركة أو ربما موته كان لأسباب طبيعية لشيخوخته وذلك عام (1776) ق.م، فنحن لا نملك نص تاريخي يوضح ماذا حدث! وبرحيل الملك عاد حكام المقاطعات التابعة إلى تأكيد استقلال ممالكهم الصغيرة وبسرعة فائقة، فالملك زمري-ليم الأموري لم ينسئ ملكه الضائع في ماري، فقاد جيشا بمساعدة أمير حلب فاستطاع إخراج يسمح-إدد من ماري، وترك نص يؤكد فيها أحقيته بالعودة وعلى لسان الإله إدد: (... أعطيت البلاد (بمعنى ماري) إلى شمسي – إدد (ملك آشور) فيما بعد أنا، أعدتك إلى عرش أبيك ...) وفي نص آخر (ألست أنا، إدد، سيد حلب، الذي رفعتك وحملتك قريبا إلى صدري، وأعدتك لعرش أبيك ...) (39).

مع عودة (زمري-ليم) (معنى اسمه الإله يحميني) لحكم ماري (زوجته تدعى شبتو (Shibtu) ابنة ياريم-ليم الأول (Yarim-Lim) ملك يمخد (حلب) (40) فقد حكم تقريبا (13) عاما، وبدأت مرحلة جديدة من الانتعاش السياسي والاقتصادي وحتى على الصعيد الدبلوماسي مع بابل النجم الصاعد تحت سلطة ملكها حمورابي، فقد أكتشف رسائل متبادلة بين الطرفين فكلا الملكين سعيا إلى استمرار الصداقة والمودة بينهما، وفي تلك الفترة كان قصر زمري-ليم قد حقق شهرة واسعة كما في (الشكل 1).



شكل 1: مخطط قصر زمري-ليم في ماري احتوى على 300 غرفة وقاعة وممرات وفضاءات

(39) Heinrich Otten: (1951). Pp. 47-71

(40) وردت في رسالة تؤرخ إلى القرن الثامن عشرة ق.م خاطب فيها زمري-ليم ملك ماري زوجته قائلا : (سمعت بأن السيدة نانامه قد أصابها مرض وذلك لاتصالها جنسيا مرات متعددة مع ساكني القصر، وأنها أتصلت جنسيا مع عدة نساء في محل سكناها، ولهذا أعطيت الأوامر الصارمة لأي شخص بعدم الشرب مع الكاس نفسه الذي تستعمله هذه السيدة، وبعدم الجلوس على المقعد الذي تجلس عليه، وعدم النوم على الفراش الذي تنام عليه، وعليها قطع الاتصال مع النساء في محل مسكنها، فهذا شر معد) : صلاح رشيد الصالحي : الطب في بلاد الرافدين... (2009-2010)، ص 255 // جوان اوتس: (1987)، ص 41

الحاكم	تاريخ الحكم (تقريبي)	ملاحظات
يحد-ليم Yaggid-Lim	1811-1820 ق.م	حاكم اموري ربما من تيركا
يخدن-ليم Yahdun-Lim	1795-1811 ق.م	اغتيال من قبل خدمه
سومو-يمام Sumu-Yamam	1791-1795 ق.م	ابن يخدن-ليم
يسمح-ادد Yasmah-Adad	1776-1791 ق.م	حاكم ماري نيابة عن ابيه شمشي-ادد
زمري-ليم Zimri-Lim	1761-1776 ق.م	ابن حدني-ادد (Hadni-Addu) حاكم مملكة ماري وآخر ملوكها
حمورابي Hammurabi	1595-1761 ق.م	استولى على ماري، وحكمت من قبل سلالته لغاية الحكم الكشي

جدول الحكام الأموريين في مملكة ماري

الثقافة والدين في ماري

أشتهر سكان ماري بالحرف اليدوية فقد عثر على للقى صغيرة مكرسة إلى (أم اللؤلؤ) (mother of pearl) وبقايا أصداف تزين المعابد، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في كيش وأور، وكان الملوك والمواطنون الساميين في ماري يكرسون لألهتهم تماثيل صغيرة لأنفسهم منحوتة برشاقة فائقة وتصور تلك التماثيل اشخاص يرتدون التنورة الصوفية السومرية التقليدية، ويطلقون لحاهم ويحلقون رؤوسهم وفق الوضع السومري للمصلين أي بالأيدي وهي مضمومة أمام الصدور، وقد وجدت نصب وتماثيل مشابهة لهذه في تل اسمر (اشنونا) في منطقة ديبالي⁽⁴¹⁾، وفي فترة حكم زمري-ليم اعتمدت ماري على النحاس المستورد من قبرص، وذلك لوجود صلات قوية مع مؤاني البحر المتوسط وهو امر طبيعي لاشتغال ماري كمحطة تجارية بين جنوب العراق وبلاد الشام والاناضول كما أسلفنا، ولكن لا ذكر لمصر ربما لأنها منطقة في عمق سوريا، وعلاقة مصر في تلك الفترة تركزت مع الممالك التي تقع على الساحل المتوسطي وفلسطين، ولهذا أهم المدن التي ذكرت في نصوص ماري حاصور (Hazor) (Haşura) في منطقة الجليل شمال فلسطين، وقطنة (Qatna) (Qatanum) في أعالي وادي العاصي قريبة من مدينة حمص الحالية وكانت عاصمة لمملكة لها نشاط سياسي مع بلاد الرافدين، وإلى أقصى الشمال حلب (Aleppo) عاصمة مملكة يمدخ، ثم المنطقة الممتدة على نهر الفرات من كركميش إلى ايمار (Imar)، ومدينة أوغاريت على الساحل الشرقي للمتوسط⁽⁴²⁾.

(41) صلاح رشيد الصالحي: مدن محور الفرات... (2011)، ص 15

(42) Wolfgang Heimpel: (2003). p. 13



شكل 2: تمثال ابيخ-إل Ebih II، محافظ ماري، وجد في معبد عشتار، ويؤرخ إلى عصر فجر سلاطات (2400 ق.م)، (من مقتنيات متحف لوفر)

على اية حال عبد سكان ماري الإله دگان (Dagan) (بالعربي دجن وبالعبري داگون) وهو إله العواصف والغيوم والحبوب وصيد السمك وأحيانا رمزا للخصوبة، وأشار سرجون الاكدي بأنه شيد معبدا للإله (دگان) في هيت (Hit) وقدم القرابين بنفسه لهذا المعبد، وذكرت في مراسلة تعود إلى العهد البابلي القديم من ماري، وكتبت (هيت) بأشكال متعددة وأكثرها شيوعا ايدو (Idu) حيث معبد (دگان) أو (داكون) أو (دجان) :

(Sar-ru-GI LUGAL Tu-tu-li^{ki} a-na^dDa-gan uš-ka-en ik-ru-ub ma-tám a-li-tám i-di-šum)⁽⁴³⁾

وذكر في النص اسم مدينة توتول (Tu-tu-li^{ki}) ولا يجب أن نكون في حيرة مع مدينة أخرى تحمل نفس الاسم على رافد البليخ⁽⁴⁴⁾، وهذا دليل على انتشار عبادة الإله دگان على طول الفرات وإلى إبيلا واوغاريت وكنعان إضافة إلى بلاد سومر وبابل وأشور، ولهذا كرس له معبدا في مدينة ماري، كما ورد أسماء أمورية في مراسلات ماري ومنها اسم اقترن بدجان وهو (زمرى-دجان) بمعنى (دجان يحميني)، وفي اختتام الأسطوانية من ماري نقش اشكال تقف بين بابين كبيرين وطبقا لملمحة كلكامش هذه الأبواب بين جبل ماشو (Mashu) والابواب الشرقية التي تؤدي إلى السماء، كما عبدت في ماري ارباب سومرية وأخرى من اوغاريت وإبيلا.

وفي السنة الـ(33) من حكم حمورابي (سادس ملوك سلالة بابل الأولى) انتصر على قوات الحليف القديم زمرى-ليم، وفي السنة 35 من حكمه دمر اسوار ماري، وكان لدى زمرى-ليم قصرين أحدهما الكبير الذي ذكر سابقا، والآخر أصغر حجما ودمر كلاهما على يد جنود حمورابي، إضافة إلى سرقة وتدمير معبد عشتار، بعد هذا الدمار، استوطنت ماري بشكل متقطع من قبل الآشوريين والبابليين والفرس ولكن المدينة بقيت قرية صغيرة حتى وصول اليونانيين ومن بعدهم الرومان ثم اختفت من التاريخ فيما بعد⁽⁴⁵⁾.

(43) Hans Hirsch: (1963). p. 38

(44) تقع مدينة توتول الثانية على نهر البليخ وقد جاء ذكرها في رسالة حاتوسيلي الثالث ملك حاتتي إلى كدشمان أنليل الثاني ملك بابل وتحمل الرسالة عتاب من الملك الحثي لانقطاع تبادل الرسائل مع بابل كما في العبارة الآتية: (هل يجب أن أبعث بألف عربية لمقابلة رسولك في توتول Tuttul) : صلاح رشيد الصالحي: تأثيرات حضارة بلاد الرافدين... (2011)، ص 31 هامش 62

Marc Van De Mieroop: (2007). p. 52

(45) Wolfgang Heimpel: (2003). Pp. 5-6

المصادر العربية

- 1- جوان اوتس: حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، 1987
- 2- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، 1984
- 3- دياكونوف و(آخرون): العراق القديم، جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، الطبعة الثانية، بغداد، 1986
- 4- سامي سعيد الأحمد و(آخرون): الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (933-331) ق.م، الصراع العراقي الفارسي، الجزء الثاني، بغداد، 1983
- 5- صلاح رشيد الصالحي: الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة، العلاقات الدولية في القرن الرابع عشر ق.م، مجلة الآداب، العدد 87، بغداد، 2008
- 6- صلاح رشيد الصالحي: الطب في بلاد الرافدين، السحر والعقلانية في معالجة الأمراض، الكتاب العلمي السنوي لمركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الأول، بغداد، 2009-2010
- 7- صلاح رشيد الصالحي: نشوء الدويلات الإقليمية في أوائل الألفية الثانية ق.م النهوض الآشوري في عهد شمسي – ادد الأول، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العدد 3، تكريت، 2010
- 8- صلاح رشيد الصالحي: تأثيرات حضارة بلاد الرافدين على دول الشرق الأدنى القديم – انتقال المفردات الحضارية العراقية القديمة (بلاد الأناضول ومصر)، مجلة الدراسات التاريخية، بيت الحكمة، العدد 28، بغداد، 2011
- 9- صلاح رشيد الصالحي: مدن محور الفرات التجارة والحرب في بلاد الرافدين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، عدد خاص بندوة تراث وتاريخ الأنبار 2011/5/16، جامعة الأنبار، 2011
- 10- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بغداد، 1973
- 11- طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، 1980
- 12- عامر سليمان واحمد مالك الفتیان: محاضرات في التاريخ القديم، بغداد، 1978
- 13- عبد الحكيم الذنون: تاريخ الشام القديم، دمشق، 1999
- 14- فون، ف، فون، زودن: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دمشق، 2003
- 15- هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، 1979
- 16- هاري ساكز: الحياة اليومية في العراق القديم، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، 2000
- 17- هاري ساكز: عظمة آشور، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو، دمشق، 2003
- 18- هورست كلنغل: حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، 1987

References

- 1- Albrecht Goetze: "An old Babylonian Itinerary" *Journal of Cuneiform Studies* 7. New Haven. 1953
- 2- Amélie Kuhrt: "The Ancient Near East, c. 3000-330 BC" Voll. 2. Taylor and Francis. 1997
- 3- André Parrot: "Les Temples d'Ishtar et de Ninni-Zaza" *American Journal of Archaeology*, Vol. 73, No. 4, Oct. 1969
- 4- André Parrot: "Mari, Capitale fabuleuse" Payot, Paris, 1974
- 5- Charles Gates: "Ancient Cities: The Archaeology of Urban Life in the Ancient Near East and Egypt, Greece, and Rome" Routledge; 2 edition. 2011
- 6- Georges Dossin: "Iamhad et Qatanum" *Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale* 36. Paris. 1939
- 7- Georges Dossin: "Cited from Marie-Henriette Gates, "The Palace of Zimri-Lim at Mari" *Biblical Archaeologist* 47. 1984
- 8- Hans Hirsch: "Die Inschriften der Könige von Agade" *Archiv für Orientforschung* 20. 1963
- 9- Heinrich Otten: "Die hethitischen Königslisten und die altorientalische Chronologie" *Mitteilungen der Deutschen Orientgesellschaft zu Berlin* 83: 1951
- 10- James Pritchard: "Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament," Third Edition with Supplement. Princeton Pitard, W. T.: University Press. New Jersey. 1969
- 11- Jean-Claude Margueron: "Mari: A Portrait in Art of a Mesopotamian City-State" Editor Jack M. Sasson Vol.II. New York. 1995
- 12- Jorgen Laessoe: "People of Ancient Assyria", London/New York. 1963
- 13- Lorenzo Viganò: "Mari and Ebla: of time and Rulers". *Liber Annuus* (44): 1994
- 14- Marc Van De Mieroop: "A History of the Ancient near East ca. 3000-323 B.C," Second Edition. Blackwell Publishing. 2007
- 15- Martha T. Roth: "Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor", Second Edition. 1997
- 16- William Moran: "The Amarna Letters," Baltimore: Johns Hopkins University Press. 1992
- 17- Wolfgang Heimpel: "Letters to the King of Mari" New Translation, with Historical Introduction, Notes, and Commentary. USA. 2003